

دور الحقائق العلمية في توجيه دلالة النص القرآني

أ.د. رياض يونس السواد
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ذي قار
معتمصم وارد حاتم عبد الهادي
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ذي قار
ryalsawad@yahoo.com

الملخص:

البحث عبارة عن دراسة دور النتائج العلمية في فهم النص القرآني بوصفها احد اليات التفسير مستدلا على وجودها عبر شواهد قرآنية قد تنبه المفسرون لها في العديد من آيات الكون وما به من كائنات (احياء وجمادات) والى صور من نشاتها ومراحل تكونها ، والى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الالهية التي تحكمها مطلقا على هذا اللون من التفسير (بالتفسير العلمي) الذي هو من المصطلحات العلمية التي ظهرت في الاوساط العلمية الحديثة. متعرضا الى لمحة تاريخية عن اهم جهود المفسرين في هذا الشأن والى المؤلفات المتقدمة والحديثة التي تضمنت اشارات علمية توجي بانتهاجه منها علميا منفتحا على ما في الكون من معارف وعلوم والتي تتصل بالطبيعة وما فيها من ظواهر كاختلاف الليل والنهار والاجرام السماوية وغيرها من القضايا التي تتعلق بالعلم الطبيعي والظواهر الجغرافية وموضحا موقف العلماء من تفسير الآيات بما يتفق وبعض النظريات العلمية والاكتشافات الحديثة وتعرض البحث كذلك الى اهم ضوابط الاخذ بالنظريات المكتشفة التي افاد منها الدارسون في فهم آيات القرآن الكريم منتهاها الى ان هذه الحقائق ينظر اليها تحت مفهومين الاول مفهوم التفسير العلمي والثاني مفهوم الاعجاز العلمي و قد اوضح البحث الفرق بينهما.

الكلمات المفتاحية: (الحقائق العلمية، دلالة النص القرآني، إشارات علمية).

The role of scientific results in directing the semantics of the Qur'anic text

Moatasem Ward Hatem Dr. : Riyadh Younis Al-Sawad

Thi- Qar University

College of Education for Humanities

Abstracts:

The research is a study of the role of scientific results in understanding the Qur'anic text as one of the mechanisms of interpretation inferring its existence through Qur'anic evidence that the interpreters have alerted to it in many verses of the universe and its creatures (living and inanimate), and to images of its origins and stages of formation, and to many cosmic

phenomena. that accompanies it, and the divine laws that govern it absolutely on this type of interpretation (scientific interpretation), which is one of the scientific terms that have appeared in modern scientific circles. He was exposed to a historical overview of the most important efforts of the commentators in this regard and to the advanced and modern works that included scientific references suggesting his adoption of a scientific approach open to the knowledge and sciences in the universe that are related to nature and the phenomena it contains such as the difference of night and day, celestial bodies and other issues related to natural science and geographical phenomena, explaining the position of scholars regarding the interpretation of verses in accordance with some scientific theories and recent discoveries. And the research showed the difference between them.

Keywords: (scientific facts, meaning of the Qur'anic text, scientific references).

المقدمة:

في هذه المحطة المهمة من البحث نسعى للتعرف على دور الحقائق العلمية التي يكتشفها الانسان في بيان دلالة الآيات القرآنية التي تتحدث عن افاق الكون ، وخبايا الكائنات ، والنفس البشرية.

والتفسير العلمي من المصطلحات العلمية الحديثة التي ظهرت في الاوساط العلمية التي يقصد به تأويل بعض الآيات القرآنية او تفسيرها بما ينسجم مع بعض النظريات العلمية او الاكتشافات الحديثة.^(١)

وقد عرفه الدارسون بتعاريف اخرى متعددة منها:

بانه (الكشف عن معاني الاية او الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية).^(٢)

او هو (النظر في الايات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية وتفسيرها تفسيراً علمياً وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها)^(٣)

الا ان هناك من اعترض على هذا التعريف بان هذه المكتشفات انما تسهم في زيادة ايضاح المعاني وتوسيع المدلولات لا انها تفسرها بشكل اولي لان معاني الايات القرآنية

كانت واضحة المعنى للصحابة والسلف وانما اسهم العلم التجريبي في زيادة الايضاح وتوسيع الدلالة .^(٤)

و في هذا الصدد يمكن تصور امرا وهو ان من معاني آيات القران معاني اولية تاتي عن جملة من الاليات مثل (المعجم، والسياق ، والنحو، والتفسير بالاثر، والعقل) وان من معاني الايات تاتي بشكل ثانوي والتي ايضا لها الياتها التي منها التفسير العلمي وهذ ينسجم مع القول الذي يذهب بان العلم بالحقائق العلمية يسهم في زيادة الايضاح.

وقد فهم من الطباطبائي بانه يذهب الى ان التفسير العلمي التجريبي الحسي . بانحائه المختلفة . انما هو تطبيق لتفسير.^(٥)

اذ يقول الطباطبائي : (واختيار المذاهب الخاصة واتخاذ المسالك والاراء المخصوصة وان كان معلولا لاختلاف الانظار العلمية او لشيء اخر كالتقاليد والعصبية القومية ، وليس ههنا محل الاشتغال بذلك ، الا ان هذا الطريق من البحث احرى به ان يسمى تطبيقا لتفسيرا)^(٦)

وفي هذا المقام يمكن تصور فكرة تُحرر على الشكل الاتي:
يعد التفسير العلمي من وسائل بيان النص القراني اذ عبر المكتشفات العلمية الحديثة يمكن الوصول الى دلالة النص القراني ولكن بما ان القران حمال وجوه فعند الافادة من النظرية العلمية في بيان الايات القرانية تبقى قاعدة كون القران حمال وجوه جارية اي لامانع من فهم معنى اخر للاية التي تتناول الحقيقة العلمية المفروض فهمها عند ذلك يمكن فهم معنى تلازمي لما يذهب اليه الطباطبائي من قوله ان تفسير الايات القرانية بالعلوم التجريبية تمثل مصاديق تنطبق عليها الايات ليخلص بهذا الكلام الى ان الايات التي فيها اشارات علمية عندما تحدد بمعنى معين وينطبق على مصاديق محددة على اساس نظريات مكتشفة معينة فعند تغير هذه النظريات التي فهمت على اساسها تلك الايات لا ينتقل ذلك الفهم المتغير الخاطيء الى الاية المفروضة وانما الخطا هو في المصداق الذي هو النظرية العلمية المكتشفة .

والذي تحقق ان هناك من الدارسين من افاد من المكتشفات العلمية في بيان النص القراني ولا اشكال في ذلك حتى لو في قادم الايام استجد راي اخر فذلك ينسجم مع ما تعارف لدى المسلمين ان القران حمال وجوه تفسيرية مختلفة ومن طبيعة الاختلاف في الغالب وجود الراي الصائب ووجود الراي الخاطى .

وقد تناول القران الكريم في العديد من اياته الكون وما به من كائنات (احياء وجمادات) والى صور من نشاتها ومراحل تكونها ، والى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الالهية التي تحكمها .^(٧)

و احصى الدارسون لهذه الاشارات الكونية في كتاب الله ما يقدر بحوالي الف اية صريحة، بالاضافة الى آيات اخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة .^(٨) مما يدعو الى فهمها والتعرف على دلالتها بشكل دقيق فيما انتهت اليه العلوم من نتائج وفي حالة عدم الرجوع اليها قد يتسبب ذلك في وقوع المتدبر في النص القراني الى خطأ في مراد الله سبحانه ولم تكن الاستعانة بالعلوم التجريبية في التفسير هي بالامر الجديد بل قد وضع المفسرون منذ القدم بداية لهذا المنهج وساروا عليه .

ويعد تفسير التبيان للطوسي من المؤلفات المتقدمة التي تضمنت اشارات علمية توحى بانتهاجه منهجا علميا منفتحا على ما في الكون من معارف وعلوم والتي تتصل بالطبيعة وما فيها من ظواهر كاختلاف الليل والنهار والاجرام السماوية وغيرها من القضايا التي تتعلق بالعلم الطبيعي والظواهر الجغرافية.^(٩)

ومن امثلة التفسير العلمي عند الطوسي:

١ دلالة (الحجارة)

قال تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)^(١٠)

يرى ان الحجارة المقصودة هي حجارة الكبريت لانها احمر شيء اذا حميت .^(١١) فخصص حجارة الكبريت دون غيرها وفي ذلك تحديد علمي .

٢. كروية الارض.

وكذلك من الامثلة التي تدلل على انفتاح الطوسي على الحقائق العلمية التي اشار لها القرآن الكريم في قوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^(١٢)

قال الطوسي: واستدل ابو علي الجبائي بهذه الاية على ان الارض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون والبلخي بان قال جعلها فراشا والفراش البساط بسط الله تعالى اياها ، والكرة لا تكون مبسطة. قال والعقل يدل ايضا على بطلان قولهم ، لان الارض لا يجوز ان تكون كروية مع كون البحار فيها ، لان الماء لا يستقر الا فيما له جنبان يتساويان ، ولان الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الاواني فلو كانت له ناحية في البحر مستعالية على الناحية الاخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة الى المنخفضة ، كما يصير كذلك اذا امتلا الاناء الذي فيه الماء ، قال الطوسي وهذا لا يدل على ما قاله لان قول من قال الارض كروية معناه ان لجميعها شكلا كرويا.^(١٣) فرد بذلك على ما زعموا وانكر ما قاله ابو علي الجبائي بان الارض ليست كروية .

٣. دلالة (والسما ذات الرجع)

وفي قوله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ...) ^(١٤) لم يستبعد الطوسي فكرة نشوء السحاب من تبخر مياه الارض ففي معرض طرحه لاراء المفسرين : وقال قوم: السماء تقع على السحاب ، لان كل شيء علا فوق شيء فهو سماء له ، فان قيل : هل السحاب بخارات تصعد من الارض؟

قلنا: ذلك جائز لا يقطع به ، ولا مانع ايضا من صحته من دليل عقل ولا سمع .^(١٥) والحقيقة التي لم يستبدها الطوسي . ان المطر يتكون من البخار الصاعد. هي من مصاديق قوله تعالى (والسما ذات الرجع)^(١٦) عندما فسرت تفسيريا علميا بان المطر يعود ويرجع الى الارض بعد ان يصبح بخارا، وان الارض بشكل عام يحكمها نظام الجاذبية اذ ان السماء ترجع كل ما يرتفع فيها الى الارض بفعل جاذبية الاخيرة وبفعل خواص الغلاف الجوي نفسه الذي يحيط بالارض فكل ما يصطدم بهذا الغلاف يعود ويرجع للارض فالسما ترجع بخار الماء مطرا وترجع الاجسام المرتفعة فيها .^(١٧)

فالرجع وصف للارض يشمل رجوع كل الاجسام بعد ارتفاعها من الارض بما في ذلك المطر الذي يرتفع بخارا فيرجع ماء.

غير انه لا بد من الاشارة الى ان هذه الحقائق ينظر اليها تحت مفهومين الاول تؤخذ تحت مفهوم التفسير العلمي والثاني تحت مفهوم الاعجاز العلمي وبين المفهومين اختلاف اذ الاول هو استعمال مكتشفات العلم التجريبي في بيان معاني الايات القرانية اما الثاني أي الاعجاز العلمي : فهو استعمال التفسير العلمي في اثبات صدق النبوة وان القران هو كلام الله الذي لا يمكن للبشر ان ياتوا بمثله فبين القسمين عموم وخصوص اذ كل اعجاز علمي يعرف من خلال التفسير العلمي وليس كل تفسير علمي قابل لان يكون اعجازا علميا تقوم به الحجة على المسلمين .^(١٨)

وتباين موقف العلماء من تفسير الايات بما يتفق وبعض النظريات العلمية والاكتشافات الحديثة فمنهم من يرى فيه فتحا جديدا وطريقا لهداية الناس ومنهم من يرى فيه خروجا عن هدف القران الذي انزل من اجله وفيه اقحاما للتفسير في مجال متروك للعقل البشري ان يجري فيه فيخطئ ويصيب وقد ادلى كل فريق براهيه وحجته.^(١٩)

الا ان القسم المجوز للتفسير العلمي هم اكثر عددا من المعارضين ويزدادون على مر السنين في مقابل انحسار اعداد المعارضين.

ولعل من اقوى ادلة المؤيدين للتفسير العلمي ان الاصل هو جواز التفسير بالرأي الذي استقر العلماء على جوازه ولاريب ان التفسير العلمي نوع من انواع اجتهاد المفسر براهيه الذي يزيد من ايضاح معنى الاية فهو ليس بدعة غير معروفة وانما هو تفسير ياتي عن الاجتهاد بحسب العلوم والمعارف التي تظهر للمفسر وبقنوع بصوابها.^(٢٠)

الا انه يمكن التوافق بينهما اذ طريق الوسط هو الاعتدال ولكن ضمن ضوابط قد وضعها الباحثون منها:

ان يفسر القران بالقران فان لم يجد فما ثبت بالسنة المطهرة وان يؤخذ بالحسبان الحقيقة الثابتة ان القران الكريم هو كتاب هداية وانه لم ينزل ليكون كتابا في علم من علوم الطب او الفلك او غير ذلك وانه اسمى من ذلك واكبر ، غير انه يتضمن الكثير من حقائق ومعارف هذه العلوم التي تذهل العلماء والمتخصصين ليثبت لهم صدقه واعجازه

ويعرفوا انه الكتاب الحق الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٢١). (٢٢)

ولا باس هنا من الاشارة الى فكرة تعليقا لما سبق وهي: عندما يفهم الانسان علة وجوده ويرتب العلاقات الرابطة بين هذه العلة ووجود الاشياء الاخرى محاولا التعرف على غاية وجودها في ذلك الوقت بتصوري يقع على الطريق المؤدي الى الفهم الصحيح لما يحلله عن تلك الموجودات المتنوعة التي منها القران الكريم فعندما يدرك غاية انزال القران بانه كتاب هداية يهدي الانسان في حياته الى طريق العبودية ويعطيه رؤية غيبية لمستقبله بعد الموت حينها يتوجه العقل الى مرجحات الفهم الصحيح لوجود الايات القرانية التي تحمل حقائق عليية ويتم توظيفها بالشكل الصحيح مبتعدا عن المبالغة في الوصف القراني الذي يقول: ان القران قد جاء متضمنا لكل ماجاء به الانسان من علوم ونظريات ولكل ما شمل عليه الكون من دلائل واحداث تحقيقا لقوله تعالى في كتابه (مَاقَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (٢٣)

وقد تباين التعاطي مع الحقائق العلمية بين السابقين والمعاصرين اذ الطرف الاول جعلوا الحقيقة القرانية اصلا ذكروا ما يؤيد هذه الحقيقة من نظريات او حقائق علمية فيما جعل المعاصرون من تلك النظريات او الحقائق العلمية اصلا يدعونها ويفسرونها بايات قرانية قد تؤيدها صراحة او يفهم منها ذلك وقد لا تدل على شيء من هذا فيتكلفون في التوفيق بين هذا وذاك. (٢٤)

يضاف الى ذلك التوسع في التفسير العلمي عند بعض المعاصرين بحجة ان القران يشتمل على جميع العلوم والمخترعات والمستحدثات واقحام بعض الايات في موضوعات لاتناسبها واخضاع بعض نصوص القران الكريم لنظريات علمية غير مستقرة. (٢٥)

(ان هذا اللون من التفسير الذي يرمي الى جعل القران مشتملا على اشارات عابرة الى كثير من اسرار الطبيعة التي كشف عنها العلم الحديث ، ولا تزال على مسرح الاكتشاف قد استشرى امره في العصر الاخير، وراج لدى بعض المتقنين الذين لهم عناية وشغف بالعلوم ، الى جنب عنايتهم بالقران الكريم، وكان من اثر هذه النزعة

التفسيرية الخاصة ، التي تسلطت على قلوب اصحابها ، ان اخرج لنا المشغفون بها كثيرا من الكتب والرسائل التي يحاول اصحابها فيها ان يحملوا القران كثيرا من علوم الارض والسماء وان يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح او التلميح ، اعتقادا منهم ان هذا بيان لناحية من اهم النواحي الدالة على صدقه واعجازه وصلاحيته للبقاء)^(٢٦)

مع ان العصر الحديث شهد طفرة علمية كبيرة في مؤلفات التفسير العلمي، الا ان هناك من ذهب الى ظهور هذا اللون كانت بداياته يرجع الى القرن الخامس الهجري وتحديدًا يرجع الى ابي حامد الغزالي الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا اليه .^(٢٧)

وقد بسط القول في كتابه (احياء علوم الدين) و (وجواهر القران) الذي رفع فيه شعارات عديدة منها ان القران الكريم يشمل العلوم جميعا وان من صور ايمان القران اشتماله على كل شيء وان كل العلوم تشعبت عن القران من علم الهيئة والنجوم والطب .^(٢٨)

وتبع الغزالي الفخر الرازي الذي في تفسيره (مفاتيح الغيب) الذي عد اول تفسير يفيض في بيان المسائل العلمية والفلسفية خاصة في ما يتعلق منها بعلم الهيئة (علم الفلك) وغير ذلك من العلوم والفنون التي كانت معروفة في زمانه .^(٢٩) وكذلك ممن سار على هذا المنهج من العلماء والمفسرين الزركشي في البرهان، والسيوطي في الاتقان ، والمجلسي في بحار الانوار، والطنطاوي في تفسير الجواهر، وسيد قطب في ظلال القران ، والطباطبائي في الميزان، ومكارم الشيرازي في تفسير الامثل ، وهادي معرفة في التمهيد في علوم القران^(٣٠) .

وبغض النظر عن المساحة التي تشغلها العلوم التجريبية في فهم النص القراني الا انها باتت مصدرا مهما من المصادر التي يعتمد عليها في هذا الاتجاه.^(٣١)

ومن الباحثين من خصص القول في ان اهم الكتب التي عنيت بهذا اللون من الوان التفسير كتاب (كشف الاسرار النورانية القرانية ، فيما يتعلق بالاجرام السماوية والارضية والحيوانات ، والنباتات ، والجواهر المدنية) لمحمد بن احمد الاسكندراني احد رجال القرن الثالث عشر الهجري اعتمد فيه اراء القدماء والمحدثين وهناك مختصرات كثيرة

في هذا الشأن كثيرة على نفس المنوال وكتب ورسائل كثير منبهة ربما تفوق الحصر. (٣٢)

وذهب الى ان اكثر علماء العصر الحديث نزعة الى التفسير العلمي واكثرهم انتاجا هو الطنطاوي في تفسيره (الجواهر في تفسير القرآن) الذي يرى ان معجزات القرآن العلمية لا زالت تنكشف يوما بعد يوم، كلما تقدمت العلوم والاكتشافات، وان كثيرا من كنوز القرآن العلمية مازالت مذكورة يكشف عنها العلم شيئا فشيئا على مر العصور. وان القرآن الكريم قد جاء بكل ما جاء به الانسان من علوم ونظريات تحقيقا لقوله تعالى (ما قرّطنا في الكتاب من شيء) (٣٣)

ويقر الطنطاوي ان آيات العلوم تربو على ٧٥٠ آية في حين ان علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة عن ١٥٠ آية. (٣٤)

ومن امثلة التي ذكرها في تفسيره التي توضح كيف افاد المفسرون من الحقائق العلمية في توجيه دلالة الايات القرآنية:

١- دلالة لفظ (تشهد)

قال تعالى (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣٥) وقوله (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٣٦)

فسر الطنطاوي هاتين الايتين بما يراه ينسجم مع ما اثبته العلم. يقول (اوليس الاستدلال باثار الاقدام واثار اصابع الايدي في اياتنا الحاضرة هو ما صرح به القرآن نفسه ، واذا كان الله يعلم ما في البواطن هو القائل للانسان (كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيَّكَ حَسِيبًا) (٣٧) والقائل (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (٣٨)

افلا يكون ذكر الايدي والارجل والجلود وشهادتها يوم القيامة ليلفت عقولنا الى ان من الدلائل ما ليس بالبينات المشهورة عند المسلمين ؟ وان هناك ما هو افضل منها؟ وهي التي يحكم بها الله فاحكموا بها ويكون ذلك القول لينبهنا ويفهمنا ان الايدي فيها اسرار ، وفي الارجل اسرار، وفي النفوس اسرار ، فالايدي لا تشته ، والارجل لا تشته فاحكموا على الجانين والسارقين باثارهم اوليس في الحق ان اقول ان هذا من معجزات القرآن وغرائبه؟ (٣٩)

ففي الايتين المباركتين يشير الطنطاوي الى ان ما وصل اليه العلم الحديث يساعد في الكشف عن معنييهما وذلك ان الله سبحانه يعلم ما في سر الانسان وهو اقرب اليه من حبل الوريد فلماذا قال انه سوف تشهد عليه هذه الجوارح فان في ذلك اشارة الى العلامات والبصمات المميزة كل شخص عن الاخر فالايتين فيهما اشارة الى ما توصل اليه العلم من ان لكل انسان اثاره وبصماته الخاصة التي تميزه عن غيره. وهو نظير ما فسر علميا به قوله تعالى (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) (٤٠)

في الاية اشارة علمية وهي ان كل انسان في بصمات يديه تركيب دقيق معجز يثير الدهشة ، فالثابت علميا انه من بين الملايين من الافراد تاخذ بصمات بنان كل شخص طابعا خاصا وشكلا مميذا تختلف عما عداها على الاطلاق ، وهذه الكشوف العلمية لم تحدث الا في العقود الاخيرة فقط. (٤١)

٢. دلالة (الرتق)

قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (٤٢)

فسر القدماء فتق السماء بنزول المطر وفتق الارض بخروج النبات غير ان الطنطاوي فسر بما يوحي اليه العلم الحديث اذ يقول:ها انت قد اطلعت على ما ابرزه القران قبل مئات السنين من ان السموات والارض أي الشمس والكواكب وما هي فيه من العوالم كانت ملتحمة ففصلها الله تعالى كانه يقول سيرى الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففصلنا بينهما وان كان التعبير القراني بلفظ الماضي الا ان قصده المستقبل كما في قوله تعالى (اتى امر الله فلا تستعجلوه) ويضيف الطنطاوي بانه هذه الحقيقة معجزة من اعجب معجزات القران الكريم التامة. (٤٣)

٣. دلالة (المارج)

في قوله تعالى (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) (٤٤)
يقول:والمارج المختلط ببعضه ببعض،فيكون اللهب الاحمر والاصفر والاخضر ملتهبات ، وكما ان الانسان من عناصر مختلفة ، هكذا لجان من انواع مختلفة من اللهب، ولقد

ظهر في الكشف الحديث ان الضوء مركب من الوان سبعة غير الذي لم يعلموه، فلفظ المارج يشير الى تركيب الاضواء من الوانها السبعة ، وان هذه اللهب مضطرب دائما وقد خلق الجان من اللهب فهو اشارة الى ان نفوس الجان لا تزال بحاجة ال تهذيب وتكميل .^(٤٥)

هذه ثلاث امثلة من تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي تمثل نموذجا في كيفية افادة المفسرين من الحقائق العلمية كوسيلة لبيان النص القراني .

ومما يتلوا تفسير الجواهر التفسير الفريد لمحمد عبد المنعم الجمال الذي يقول : ان العلوم مهما تقدمت تبقى عرضة للزلل فلا ينبغي ان تطبق على آيات القران الا ما ثبت منها قطعا ، وكل نظرية تختلف مع اية من أي الذكر الحكيم ، لا بد انها لم تصل بعد عمق الحقيقة ، فلا زالت معجزات القران الكريم يكتشفها العلم، ولا زالت العلوم كلما تقدمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين.^(٤٦)

فمما هو واضح جدا تناول القران للحقائق العلمية التي تتماشى مع ما يكتشفه العلم بل نجد ان العلماء قد افادوا من تلك المكتشفات في تبين دلالة النص القراني لتكون واحدة من الاليات المهمة التي لا بد للمفسر ان يحيط بها من اجل الوقوف على مضامين الايات القرانية ومقاصدها فمن الامثلة على ذلك:

١. دلالة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

قال تعالى (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)^(٤٧)

فسر قوله (بِأَيْدٍ) أَي بِقُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ. وقوله (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (وَسَع) تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ. يُقَالُ وَسِعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ.^(٤٨)

و(وانا لموسعون) أَي وَإِنَّا لَدُو سَعَةٍ، وَبِحَلْقِهَا وَخَلْقِهَا لَا يَضِيقُ عَلَيْنَا شَيْءٌ نُرِيدُهُ.^(٤٩)

الا ان في فقرة(وانا لموسعون) هناك من وجه دلالتها الى مكتشفات العلم الحديث من ان الكون يتمدد ويتسع وان المجرات البعيدة مع دورانها حول نفسها فانها تتباعد عنا كما يتباعد بعضها عن بعض يقول العالم بليفن في كتابه (العلم ينظر الى السماء) ان الاجزاء النائية من الكون . وهو ارحب واعظم مما كنا نتخيله . تندفع في الفضاء بعيدا

بسرعة مخيفة) وان اينشتين قال بتمدد الكون في نظرية النسبية وقد لا حظ علماء الفلك حركات منتظمة للسدم الخارجية فهي تتباعد عن مجموعتنا الشمسية وعن بعضها البعض فالكون يتمدد كالبالون سعة.^(٥٠)

ان الحقيقة العلمية اليوم تؤكد ان المجرات البعيدة جدا منها تظهر . فوق دورانها حول نفسها. انها تتباعد عنا كما يتباعد بعضها عن بعض باستمرار ويسرعات عظيمة جدا تقدر بالاف الاميال في الثانية الواحدة فاستدل بحركاتها على ان الفضاء بين المجرات يتمدد ويتسع باستمرار وان حجم الفضاء الكوني الان يبلغ نحو عشرة امثال حجمه منذ بدا في التمدد .^(٥١)

ان اسم الفاعل (موسع) يفيد بهذه الصيغة الاستمرارية وعند الربط بين افادة الصيغة ومكتشفات العلم فان الاية تقول ان السماء خلقها الله واسعة غاية الاتساع وعمل على وضع قوانين فيها تجعلها تمتد وتتسع زيادة على ماهي عليه.^(٥٢)

٢. دلالة (لواح)

قال تعالى (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)^(٥٣)

فسرت الاية بان الرياح لواح للشجار او لواح للسحاب.^(٥٤)

وعلى توجيه المعاصرين وبالإفادة من المكتشفات العلمية في توجيه دلالة (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ) بان الرياح لواح للنباتات وهي حقيقة علمية واقعية ولكن ايضا تشير الى معنى اخر لم يفهم على وجه الدقة الا حديثا وهو ان الرياح لواح للسحب بما يؤدي الى نزول الماء من السماء وهو ما يربط اجزاء الاية فان الرياح تحمل بخار مياه الارض في كل الاتجاهات ثم يتكاثف بالتبريد، وبالتشبع تتكون السحب ، واثناء ذلك تشحن بالكهرباء الموجبة وتنفصل الكهرباء السالبة فتحملها الرياح وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحنا وافرا بالكهرباء وعندما تقترب الشحنات من بعضها البعض بواسطة الرياح يتم التفريغ الكهربائي ويشاهد البرق ثم يسمع الرعد وهو موجات صوتية يحدثها الهواء باندفاعه الى حيث تم التفريغ بالبرق ثم تنزل قطرات الماء من السماء وقد

توصل العلم الحديث الى توليد الرياح للكهرباء بنوعيتها في السحب وهو التلقيح بواسطة الرياح للسحب بعضها ببعض.^(٥٥)

نلاحظ دور الحقائق العلمية المكتشفة في تبين المعنى الدقيق للآية القرآنية.

٣. دلالة (تجري)

قال تعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)^(٥٦)

فسر قديما جريان الشمس بسيرها في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها، ولا تتجاوزها. ثم ترجع إلى أول منازلها.^(٥٧)

فكان الاعتقاد في صدر الاسلام ان الشمس ليس لها حركة الا الحركة الحسية والحال ان العلم اثبت ان لا حركة للشمس من المشرق الى المغرب ، وانما القمر والارض هما المتحركان حول الشمس واما حركة الشمس فتكون لها حركة انتقالية وهكذا كل ما في هذا الكون هو متحرك حركة واقعية ولذا عبر القرآن عنها بالجريان.^(٥٨)

٤. دلالة (نضجت) مع (الجلود)

قال تعالى (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا)^(٥٩)

فسرت الآية اي كلما احترقت جلودهم بَدَّلْنَاهُمْ يعني: جددنا لهم جُلُودًا غَيْرَهَا لأنهم إذا احترقوا خبت عنهم النار ساعة فبدلوا خلقاً جديداً، ثم عادت تحرقهم، فهذا دأبهم فيها.^(٦٠)

السؤال الذي يطرح لماذا التركيز في النضوج على الجلد دون سائر جسم الانسان ؟

هنا يأتي دور الحقائق العلمية المكتشفة لتهدى الى علاقة كلمة (نضجت) بالجلود.

وذلك ان القرآن ينبه في اعجاز علمي ظاهر الى حساسية الجلد وتميزه في الشعور بالآلم اذ ثبت في علم التشريح والطب الحديث ان الجلد يتميز بالآلم وان التخدير الذي يجري للانسان اثناء العمليات الجراحية انما يقصد به الجلد فلو عمدت الى تقطيع امعاء انسان وهو ينظر لما شعر بشيء بينما وخزة دبوس في جلده تؤلمه فقد كشف العلم الحديث اخيرا ان مركز الاحساس بالآلم موجودة في الجلد.^(٦١)

عند ذلك يتبين عبر المثال المطروح علاقة ودور النظريات العلمية في تقديم دقة النص

القرآن الدلالي.

الخاتمة:

وصل البحث الى اهم النتائج التي يمكن ان نوجزها فيما يأتي :

من المسلم به ان القرآن الكريم قد تناول في العديد من آياته الكون وما به من كائنات (احياء وجمادات) والى صور من نشأتها ومراحل تكوينها ، والى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الالهية التي تحكمها وهذه الآيات قد اختصت بالية اضافية من اليات التفسي رالتي تهدي الى دلالة النص القرآني وهذه الالية هي النظريات العلمية المكتشفة.

ان الافادة من المكتشفات العلمية بوصفها منفذ على المعنى القرآني نجد لها اصل وبذور متقدمة قد افاد منها المفسرون ونجد من المؤلفات المتقدمة قد تضمنت اشارات علمية توحى بانتهاجه منهجا علميا منفتحا على ما في الكون من معارف وعلوم والتي تتصل بالطبيعة وما فيها من ظواهر كاختلاف الليل والنهار والاجرام السماوية وغيرها من القضايا التي تتعلق بالعلم الطبيعي والظواهر الجغرافية .

وقد تحقق ان القرآن الكريم تطرق الى الحقائق العلمية التي تخص الانسان والحيوان وافاد الدارسون للقران الكريم من هذه النظريات العلمية في توجيه دلالة النص القراني وقد دلت الدراسة الى ذلك عبر امثلة ولكن ما يجب الالتفات اليه هو رفض المبالغة في اقحام تلك الايات القرانية وتحميلها لمعان مستحدثة دون دليل يعتمد عليه بل السياق وجو الاية مضافا الى السنة وما تعارف عليه المفسرون يوجه معنى الاية لغير تلك الدلالة المقحمة والمبالغ في تطبيقها .

. توقفت الدراسة حول تباين موقف العلماء من تفسير الايات بما ينفق وبعض النظريات العلمية والاكتشافات الحديثة فمنهم من يرى فيه فتحا جديدا وطريقا لهداية الناس ومنهم من يرى فيه خروجا عن هدف القرآن الذي انزل من اجله.

هوامش البحث

- (١) ينظر:المنهج القويم للتفسير العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحمن بن معاضة الشري ، جامعة اليرموك، الاردن بحث في النت دون ترقيم الصفحات
- (٢) التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم، جذوره وتطبيقاته والموقف منه ، عادل بن علي الشدي، جامعة الملك سعود:١٢
- (٣) التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم، جذوره وتطبيقاته والموقف منه ، عادل بن علي الشدي، جامعة الملك سعود:١٠
- (٤) ينظر: التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم، جذوره وتطبيقاته والموقف منه ، عادل بن علي الشدي، جامعة الملك سعود:١٥
- (٥) ينظر:بحث في النت بعنوان:تعريف التفسير العلمي ، ماخوذ عن كتاب دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، علي اكبر المازندراني :١٠٤:١٠٥.١
- (٦) الميزان :٧/١
- (٧) ينظر: مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:٧٧
- (٨) ينظر:مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي:٧٨
- (٩) ينظر:منهج الشيخ الطوسي في تفسير آيات الاحكام في كتابه التبيان ، مياس ضياء باقر عبد الحسين:٨٤
- (١٠) البقرة:٢٤
- (١١) ينظر: التبيان ١/١٠٦
- (١٢) البقر:٢٢
- (١٣) ينظر:التبيان :١/١٢٥
- (١٤) البقرة:١٦٤
- (١٥) ينظر:التبيان :٢/٥٨
- (١٦) الطارق:١١
- (١٧) ينظر:وجوه من الاعجاز القرآني:٩٠
- (١٨) ينظر:التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم جذوره وتطبيقاته والموقف من :٢٠١٩.١٨
- (١٩) ينظر:المنهج القويم للتفسير العلمي في القرآن الكريم بدون صفحة، وينظر:التفسير والمفسرون هادي معرفة :٢/١٠٠٨، وينظر:التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم ، جذوره وتطبيقاته والموقف منه :٦٣

- (٢٠) ينظر: التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم ، جذوره وتطبيقاته والموقف منه ٧١
(٢١) فصلت: ٤٢
- (٢٢) ينظر: المنهج القويم للتفسير العلمي في القران الكريم بدون ترقيم.
(٢٣) الانعام: ٣٨
- (٢٤) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الروحي،
الرياض ط ١: ٢٧٠/١
- (٢٥) ينظر: المنهج القويم في التفسير العلمي في القران الكريم
(٢٦) التفسير والمفسرون ، هادي معرفة ١٠٠١/٢
- (٢٧) ينظر: التفسير العلمي التجريبي ، للقران الكريم ، جذوره وتطبيقاته والموقف منه ، تاليف عادل
بن علي الشدي، جامعة الملك سعود: ٢٤
- (٢٨) ينظر: مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القران : ٧٩
(٢٩) ينظر :مدخل الى اعجاز القران العلمي : ٧٩
- (٣٠) ينظر: قراءة النص القراني بين الهرمنيوطيقا الرومانسية والتفسير النظري (بحث مقارنة) ، محمد
حسين صادق، ٥٢، مجلة تصدر عن قسم دراسات الاديان في بيت الحكمة العدد ٣٧
- (٣١) ينظر: قراءة النص القراني بين الهرمنيوطيقا الرومانسية والتفسير النظري (بحث مقارنة) ، محمد
حسين صادق، ٥٢، مجلة تصدر عن قسم دراسات الاديان في بيت الحكمة العدد ٣٧
- (٣٢) ينظر: التفسير والمفسرون ، هادي معرفة ١٠٠٥/٢
- (٣٣) ينظر : التفسير والمفسرون ، هادي معرفة: ١٠٠٥/٢
- (٣٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٠٥/٢
- (٣٥) النور: ٢٤
- (٣٦) يس: ٦٥
- (٣٧) الاعراف: ١٥
- (٣٨) القيامة: ١٥
- (٣٩) الجواهر: ٩/٣
- (٤٠) القيامة: ٤، ٥
- (٤١) ينظر: وجوه من الاعجاز القراني : ٨١
- (٤٢) الانبياء: ٣٠
- (٤٣)(٤٣) ينظر : الجواهر: ١٩٩/١٠

- (٤٤) الرحمن: ١٥
- (٤٥) ينظر: الجواهر: ١٧/٢٤
- (٤٦) ينظر: التفسير والمفسرن ، هادي معرفة: ١٠٠٧/٢
- (٤٧) الذاريات: ٤٧
- (٤٨) ينظر: مقابيس اللغة: ١٠٩/٦
- (٤٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي: ٥٢/١٧
- (٥٠) وجوه من الاعجاز القراني ، مصطفى الدباغ ، مكتبة المنار ، الزرقاء. الاردن ط ١: ٨٨
- (٥١) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ، حنفي احمد، دار المعارف بمصر ط ١٩١٠، ٢: ٣٠٩:
- (٥٢) ينظر: وجوه من الاعجاز القراني: ٨٩
- (٥٣) الحجر: ٢٢
- (٥٤) ينظر: تفسير بحر العلوم ، السمرقندي: ٢٥٣/٢
- (٥٥) ينظر: التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم، عادل بن علي الشدي: ٩٧.٩٦
- (٥٦) يس: ٣٨
- (٥٧) ينظر: تفسير بحر العلوم ، السمرقندي: ١٢٣/٣
- (٥٨) ينظر: قراءة النص القراني بين الهرمنيوطيقا الرومانسية والتفسير النظري، محمد حسين صادق: ٥٢
- (٥٩) النساء: ٥٦
- (٦٠) ينظر: تفسير بحر العلوم ، السمرقندي: ٣١٠/١
- (٦١) ينظر: وجوه من الاعجاز القراني ، مصطفى الدباغ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الاردن ط ١:
- ٨١

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- التبيان
- التفسير العلمي التجريبي ، للقران الكريم ، جذوره وتطبيقاته والموقف منه ، تاليف عادل بن علي الشدي، جامعة الملك سعود
- التفسير العلمي التجريبي للقران الكريم ، جذوره وتطبيقاته والموقف منه
- التفسير العلمي للآيات الكونية في القران ، حنفي احمد، دار المعارف بمصر ط٢
- تفسير بحر العلوم ، السمرقندي
- التفسير والمفسرن ، هادي معرفة
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي:
- الجواهر:
- مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة
- مقاييس اللغة
- منهج الشيخ الطوسي في تفسير آيات الاحكام في كتابه التبيان ، مياس ضياء باقر عبد الحسين
- المنهج القويم للتفسير العلمي في القران الكريم ، عبد الرحمن بن معاضة الشري ، جامعة اليرموك، الاردن بحث في النت دون ترقيم الصفحات
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الروحي، الرياض ط١
- وجوه من الاعجاز القراني ،مصطفى الدباغ ، مكتبة المنار ، الزرقاء الاردن ط١

ثالثاً: البحوث

- بحث في النت بعنوان: تعريف التفسير العلمي ، مأخوذ عن كتاب دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، علي اكبر المازندراني
- قراءة النص القراني بين الهرمنيوطيقا الرومانسية والتفسير النظري (بحث مقارنة) ، محمد حسين صادق، مجلة تصدر عن قسم دراسات الاديان في بيت الحكمة العدد ٣٧